20 me. année No 988

Le Caire 9 — 6 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٨٨ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ رمضان سنة ١٣٧١ — ٩ يونية سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

حديث رمضان*

للأستاذ على الطنطاوى

(أهديه الى روح شاعر الروح ، وأديب الشرق محمد إقبال)

على

صدقونى أنى لم أجد أشق على من هذا الحديث

كيف أشق بصوتى عجيج المعامل ، وضجيج المصانع(١) وصياح الملاهى والحانات ؟

كيف أخاطب خطاب الروح من لا يعيش إلا للجسد ، وأحدث حديث الآخرة من لا يؤمن إلا بالدنيا ؟ كيف يذكر أنه جاء من التراب ، وسيعود إلى التراب ، من نقر الصخر ، ونقل البحر ، وخرق الأرض ، وركب الهواء ، وفجر الذرة ، وأنطق الجماد ، فامتلأ كبراً وغروراً ، حتى نسى من خلقه ، فقال : أنا ربكم الأعلى ؟!

ومن جعل من الحديد والنحاس آلات لها لسان ، فيه أجلى البيان؛ وأذنان تسمعان ، مالا تسمع الآذان ، وعقل يحسب ما يعجز عن حسابه عقل الإنسان ؟

نعم ، إنكم استطعتم أن تصنعوا من المادة تمثالا على صورة الحبيبة ، له لونها ولينها ، وله رائحتها وحرارتها ، وأن تلمسوه بأيديكم ، وتسمعوا معه صوتها من الراد ، وتروا صورتها فى الرائى(٢) ، فتشغلوا حواسكم الثلاث بها ، ولسانكم بمناجاتها ، وعقلكم بتصورها ، ولكن هل يغنيكم ذلك عن جسدها النابض بالحياة ؟

هل تجدون فى ذلك لذة الوصال ؟

كلا . إنكم صنعتم الجسد ، ولكنه كان جسداً بلا روح . وكذلك كانت حضارتكم

لقد ملكتم عالم المادة ، ولكنكم خسرتم عالم الروح

تقولون : ما عالم الروح ؟

أما قمتم مرة فى هدأة الليل ، فتأملتم صفاء السماء ولمعة النجم ، فأحسستم فى قلوبكم بعظمة الكون ؟

أما سمعتم مرة نغمة عذبة تسرى فى جنبات الليل سريان الصحة فى الأجسام ، فحملتكم نبراتها إلى أودية الأحلام ؟

أما قرأتم مرة قصة فوجدتم لما ختموها أنكم فقدتم شيئا ، وأحسستم فى نفوسكم فراغاً ، وأنكم هبطتم من الفضاء الواسع إلى أرض الواقع ؟

أما تركتم مرة زحمة الناس ، وضجة الحياة ، ودخلتم بيتاً من بيوت الله ساكنا ، فشعرتم بهوان الدنيا ، وصغر الأرض ،

(*) بقلم من محطة « صوت أمريكا » وكتب بطلب منها

(١) أعنى البورصات

(٢) أعنى التلفزيون — اصطلاح على طريق المجاز المرسل . أما الراد فقد وضعتها الراديو واستعملها الناس

فى جنب الله الملك الجبار ، ووجدتم حلاوة الإيمان ولذة الاستغراق فى العبادة ؟

هذه لمحات من عالم الروح

وما لمحات العبقرية المبدعة إلا لمحات أخرى : يد تستطيع أن تحرك الستار ، فتبدو من خلاله خطفات من مشاهد ذلك العالم تظهر فى اللحن الخالد أو القصة أو القصيدة أو فى هجمة ذهن جبار على الشاطئ القريب من بحار المجهول

ولكنكم حبستم نفوسكم من كثافة المادة فى غار مغلق فلا ترون من بياض النهار إلا هذه الومضات تلمع من شقوق الصخر ثم تختفى

إنكم غارقون فى لج المادة ، فمن أين يتنفس الغريق فى البحر نسمات الأسحار ؟

إنكم تركضون فى حلقة مفرغة ، تسيرون سير السواقى ، تفيقون فتسرعون إلى الطعام تبتلعونه ابتلاعا ، والجريدة تلتهمونها التهاما ، فإذا لبستم ثيابكم أسرعتم إلى العمل فانغمستم فيه ، فإذا كان الظهر عدتم مسرعين إلى الدار فأكلتم وأسرعتم إلى الخروج ، ثم عدتم مسرعين إلى المنام

ثم بدأتم من غد من حيث انتهيتم اليوم ! ركض أبداً ، وإسراع دائما ، ولا تعرفون إلى أين المسير !

قد غفلتم عن جمال الطبيعة من حولكم ، فأنتم تقطعون أجمل مراحل الطريق ، مرحلة السحر وأنتم نيام ، لا تقفون على الروض تجتلون جمال الروض ، ولا ترفعون أبصاركم إلى السماء ، تفكرون فى عظمة السماء ، وغفلتم عن نفوسكم ، فلا تخلون بها ساعة كل يوم ، تسألونها ، وتتعرفون أسرارها ، وتغوصون على جواهرها

حياتكم كلها سرعة وسباق ! سباق فى الخير والشر ، إسراع إلى الشر والخير

تسابقتم فى قطع المسافات ، فصرنا نطير من دمشق إلى بغداد فى ثلاث ساعات ، وكنا نبلغها فى ثلاثة أشهر ، فهل ربحنا ؟ ربحنا الزمن ، ولكنا خسرنا العواطف والشعور . كان الطريق يثير فى نفوسنا ألف عاطفة ، ويبقى فيها ألف ذكرى ، نعيش بها دهراً ، فصرنا نقطعه فى غمضة واحدة !

وتسابقتم فى العلم والفن ، وفى القتل والتخريب . تهدمون فى ساعة ، ما تبنونه فى سنين ، فعل الأطفال والمجرمين والمجانين !

وها أنتم هؤلاء تتسابقون ، أيكم يكون أسرع إلى إهلاك البشر ، بحرب شيطانية مدمرة لا تبقى ولا تذر . فمتى يستريح هذا الركب المجنون ، الراكض المسرع ، الذى يقفز كأنه يدوس على ظهور العقارب ، ويجرى كأن شياطين الجحيم جميعا تطارده

متى يسأل نفسه : ما الغاية ، وما المصير ؟

متى يقف لينظر إلى أين بلغ ، وإلى أين المسير ؟

أين باقى المحطة فى هذا السفر الطويل الذى لا غاية له ، ولا أول ولا نهاية

فى رمضان !

فى رمضان يا أيها القارئ

هذه هى المحطة التى أقامها الإسلام فى طريق البشرية لتقف عليها وقفة كل عام ، تفرغ فيها من هم البطن ، وهم ما تحت البطن . ليسأل كل نفسه : من أنا ؟ من أين جئت وإلى أين أصير ؟

من أنا ؟ أنا خط طويل ، أوله فى النور ، وسائره فى الظلام . لقد كنت قبل أن أعرف نفسى ، وسأبقى بعد ما يذهب عقلى وحسى ، ولو حق لى أن أنكر مصيرى بعد الموت لأنى لا أراه ، لحق لى أن أنكر ماضى قبل الولادة لأنى ما رأيته

وما أحوج أبناء هذه الحضارة اليوم إلى مثل هذه المحطة فى طريق الحياة !

ما أحوجكم إلى من يذكركم بأن فى الوجود ربا ، وأن بعد الدنيا آخرة ، وأن الله ما خلق الناس عبثا ، ولا تركهم سدى

إنكم أغنى منا مالا ، وأقوى قوة ، وأكثر عمرانا ، وأعرف منا بأسرار المادة وسنن الكون ، ولكنا أغنى منكم بكنوز الروحيات ، فتعالوا نأخذ منا ، فإن الإنسان قد عاش بلا علم ولا مال ، ولكنه لا يعيش بلا روح

ولقد جعل الإسلام الصلوات الخمس كل يوم ، لتعود الروح فى هذه اللحظات ، إلى عالم الروح ، وجعل الصيام شهراً فى العام ، لينطلق الإنسان من إسار المادة شهراً فى العام ، ويحس